مدرسة الإسكندرية

خلق الإنسان علي صورة الله في التقليد الآبائي

عند القديس ايريناؤس أسقف ليون (١)

مركز الأبحاث بالمجلة

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد الثالث - ٢٠٠٩

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٣

خلق الإنسان على صورة الله في التقليد الآبائي عند القديس ايرناؤس أسقف ليون (١)

ترجمة القس لوقا يوسف

خلق الإنسان على صورة الله في التقليد الآبائي*

عند القديس ايريناؤس أسقف ليون (١)

ترجمة القس لوقا يوسف

مقدمة عن القديس ايريناؤس

كان يُطلق على القديس ايريناؤس أول اللاهوتيين المسيحيين [أبو التقليد الكنسي][(١)]. فهو أول كاتب مسيحي يستخدم منهج الصورة والشبه [المثال] كإطار لاهوتي، من خلاله أعطى تعليمًا متكاملاً عن النعمة والخَلْقْ وعلم الإنسان *anthropology* وعلم النفس والنسك في الحياة الروحية بأكملها. وُلِد القديس في آسيا الصغرى بالقرب من سميرنا ما بين عامي ١٤٠ ـ ١٦٠ ميلادية. وحينما كان صبيًّا، سمع عن الإيمان المسيحي من القديس بوليكاربوس الأسقف والشهيد وتلميذ القديس يوحنا الإنجيلي والبشير. وقد كشفت مخطوطات يوسابيوس عن خطاب للقديس ايريناؤس كان قد أرسله إلى كاهن في روميه يُدعى «فلورينيوس» يتكلم فيه القديس ايريناؤس عن القديس بوليكاربوس، وكيف كانت له:

"عشرة مع القديس يوحنا والتلاميذ الآخرين الذين رأوا الرب والأشياء التي سمعها من التلاميذ عن الأمور المختصة بالرب يسوع، وعن معجزاته، وعن تعليمه وأن بوليكاربوس تسلم ذلك من الذين شهدوا بالعيان لكلمة الحياة ودوَّن هذه (الأقوال) المتوافقة مع الأسفار المقدسة. لقد كنت أنصت بشغف

*هذا المقال مترجم عن كتاب

G. A. Maloney, *Man, The Divine Icon ; the patristic Doctrine of Man Made according to the Image of God, Dove publications 1973 , Ch 3 , pp 31 – 42*

١ ما بين القوسين [...] أضيف من قِبَل المترجم لإستقامة المعنى.

آنذاك إلى هذه الامور التي تمّت من خلال رحمة اللّه المعطاة له، مدوِّنًا إياها لا على ورق ولكن في قلبي، ودائمًا ما كنت أتأمل فيها بنعمة اللّه" [٢]

كل هذه الكلمات تؤكد لنا أن القديس ايريناؤس كان متصلاً بالتقليد الرسولي، ويتضح لنا من خلال أهم عملين له، أنه كان مستندًا على هذا التقليد مُؤمنًا بكل ما فيه، كما علّم به، وسلّمه لمن بعده. لقد كان القديس ايريناؤس راعيًا للنفوس ودُعي من آسيا الصغرى إلى ليون، جنوب فرنسا، لسبب لا نعرفه ولكنه أيضًا قد تولّى مهامه كأسقف للكنيسة في عام ١٧٧ أو ١٧٨م. وكأسقف أحس بواجبه الأول لحماية القطيع من تخريب بدعة الغنوسية المنتشرة. ومن خلال مؤلّف للقديس ايريناؤس ضد فالنتينوس وغنوسيون آخرون «*ضد الهرطقات*» نستطيع أن نأخذ فكرة جيدة عن الغنوسية في القرن الثاني الميلادي وكيف كانت تُعد تهديدًا للكنيسة المسيحية الأولى. وكل هذا [التعليم الغنوسي] كان أساسه النظام الديني المنتقَى والممتزج بالعلوم التي تبحث في أصل الآلهة، ونشأة الكون، والعقائد التصوفية، وتاريخ العالم، والفلسفة، والعلوم. لقد امتزجت الحقائق المسيحية والشواهد الكتابية بالعبادات الفارسية والمصرية لتكوين خليط للتعليم الديني [بواسطة الهراطقة].

مختصر تعليم الهرطقة الغنوسية

الهرطقة الغنوسية، كما أوضح القديس ايريناؤس في كتابه الثاني «*ضد الهرطقات*» في محاولته لتفنيد الهرطقة الغنوسية للفالانتنيين والمرقيانيين، كانت تعتمد على الإقلال من شأن المادة. [وفي الفكر الغنوسي] تولّد العالم المادي بسبب الخطية، إذ إنه في البَدْء لم يكن هناك سوى كائنات تُدعى أيونات *Eons* كانت تحيا في توافق تبعًا لدرجات رئاسية من الكمال، وأن أحد الأيونات انشق عليهم وتمرّد ونتج عن ذلك أنه انفصل من الرئاسة المتناغمة

[2] Eusebius, *Historia Ecclesiastica, Book 5, 20 , 5 - 7 in A select Library of Nicene and Post – Nicene Fathers of the Christian church, 2nd Series, ed. Schaff, P. and Wace, H., Vol 1.* pp. *238 – 239.*

التي لباقي الأيونات، طالبًا كمالاً أعظم. وقد اختل التوازن واضمحل هذا الايون، ونتيجة اختلال هذا التوافق نشأ عالمنا؛ الذي هو عمل *demiurgos* [مَنْ اعتبره الغنوسيون إله الشر]. ومع ذلك ظلت تلك الومضات الإلهيّة موجودة في الخليقة الماديّة في هذا الكون وبعدها نزل أيونًا مُخلِّصًا من السماء وأخذ لنفسه جسمًا واضحًا يشابهنا وليجمع الومضات الإلهية فينا ويُرجعنا من جديد إلى أصلنا. وقد أتم ذلك بإعطاء بعض الكائنات معرفةً سريّةً *gnosis*، لتُعلِّم النفوس المُخلصة طريق العودة للسماء وتمدهم بالوسائل للوصول إلى هناك.

[بحسب الفكر الغنوسي] لا يملك الله أي جزء من عالمنا المخلوق. ولقد زاد سموه إلى درجة كبيرة حتى أنه أصبح مجردًا ويمكن الوصول إليه من خلال رموز مفهومة وفقط للنخبة من المفكرين. ولكن الإنسان مدين بأصله المادي في هذا العالم إلى إله الشر *demiurgos* الذي أنشأ ثلاث فئات من البشر. الفئة الأولى وهي التي خُلِقت على صورة الإله وتُدعَى *hylic men* [٣] وأولئك بشر أنقياء وبسطاء يعيشون وفقًا لطبائعهم الحيوانية والمادية الفاسدة. هم ليسوا روحانيين وبالتالي لن يصلوا لعدم الموت. هؤلاء سوف يفنون مع المادة بالنار المنبعثة من مركز العالم. واليهود والوثنيون يمثلون معظم تلك الفئة وهم يحيون حسب أجسادهم المادية وليس حسب الروح.

أما الفئة الثانية من البشر يُدعون النفسانيون *psychics* [٤] وهؤلاء يملكون ومضات من عدم الموت وأيضًا من عالم المادة. هؤلاء يُمكن أن يختاروا الدرجات العليا للكينونة والوصول للخلاص أو الانحدار لذواتهم الدنيا ليُدمَروا مع باقي المادة، وهؤلاء، كما يزعم الغنوسيون، خُلقوا على صورة الإله وأنه مُقدرًا لهم أن يسموا بالروح لكيما يشغلوا المرتبة الدنيا من الخلاص.

[3] Irenaeus, Adv. Haer. I , Ch. 5,5, ANF (Citations from : The Ante-Nicene Fathers ; Vol. 1; ed. Roberts, A. and Donaldson, J., Grand Rapids, Mich.) p. 323
[4] Adv, Haef. I , Ch. 6, p. 324

وأما الفئة الثالثة وهي لقلّة من الغنوسيين يُدعوَن الروحانيون *pneumatics*[٥] وهؤلاء غير فاسدين وغير مائتين بالطبيعة، ومن خلال المعرفة السرية *gnosis* المُعطاة لهم بالمُخلِّص سيصلوا إلى الخلاص الحقيقي.

تستند الهرطقة الغنوسية وفكرها المُخادع على إنكار إرادة الله الخلاصية، في العالم، تجاه كل البشر. [كما يزعمون] أن الله يمنح الخلاص لنفوس مُختارة قليلة وهم الذين بطبيعتهم خُلِقوا بواسطة الإله، كأرواح. والخلاص هو العودة للحياة الإلهية والكمال الروحي الذي لأجله خُلقَت هذه النفوس. وأما بقية الجنس البشري لم يُولدوا كأرواح نقية ولكن كشركاء في المادة الفاسدة وليس لهم فرصة للخلاص. ونرى هنا أيضًا الميول الخاطئة والمألوفة في الأفلاطونية، أن المادة ليست فقط مصدر للشر والخطيئة ولكنها الشر بذاته. إن الأفعال الخُلُقيّة ليس لها دور في إنقاذ الفئة الثانية *hylic* من الفساد والدمار النهائي. والإنسان ليس حرًّا في قبول عطايا الله المُقدّمة للخلاص. فهو مهيّأ مسبقًا لقبول قدر محدود من المعرفة الذهنيّة والتي لا يستطيع أن يتحكم فيها بأي شكل من الأشكال. لقد وُلِد البشر ضمن الثلاث فئات [السابقة] لذا فإن أية محاولات خُلُقيّة لا يمكنها أن تساعد المرء للتقدُّم إلى الخلاص الكامل. ويلخّص العالم جروس *Gross* الغنوسيّة بأنها محاولة لوضع المسيحيّة في قالب هلليني، كما تحمل في طياتها من الوثنيّة ومن الديانات التصوفيّة.

وعلى خلاف ما يقوله أصحاب الهرطقة الغنوسية للفالانتنيين والمرقيانيين مفترضين أن الله ليس خالق العالم المادي، ولكن إله الشر *demiurgos*، وقد أعطَى الخلاص للذين صارت أرواحهم نقية وأخذوا المعرفة السرية *gnosis* التي جاء بها اللوجوس المخلِّص، استخدم القديس ايريناؤس أداة قوية في تعليم التقليد الحي الحقيقي؛ وهي عقيدة الصورة والشبه. وهو لم يكن في البداية مهتمًا بإيضاح كامل لمنهج الصورة والمثال، بل كان مهتمًا بعمومية إرادة الله المخلِّصة خلال تاريخ تواصله الخلاصي بالجنس البشري، لهذا اتجه القديس

[5] Ibid., p. 326

ايريناؤس لاستخدام تعبيري الصورة والشبه بصورة مترادفة ولكنه بعد ذلك، غالبًا ما كان يميِّز بينهما.

ويجب لنا ان نضع في الحسبان الجدل اللاهوتي القوي [للقديس ايريناؤس ضد الهرطقة الغنوسية] لنتمكن من فهم معنى الصورة والشبه بحسب فكر القديس ايريناؤس.

الصورة والشبه في الخليقة الأولى

كان القديس ايريناؤس هو الوريث للتعليم الصحيح، لذلك مع وجود الغنوسيين الذين يؤمنون بالتركيز الشديد على التسامي في سمو وقوة الإله كان القديس ايريناؤس يصحِّح ما تدّعيه البدعة الغنوسية عن العلاقة بين سمو الله وعمله في الخليقة من خلال اتجاه القديس إلى الكتاب المقدس والاستماع إلى كلمات الله «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١: ٢٦)، وهذه هي الخطوة الأولى في قصة الخلاص ضمن خطوات كثيرة عملها الله لخلاص الإنسان ليعيده إلى كماله [في الله]. كان عمل الخَلقْ كباقي أعمال الله يتم من خلال يدي الله أي الابن والروح القدس. فالله يحتفظ دائمًا بسموه وقدرته في خلق الإنسان فالله يظل وحده الشخص غير المخلوق بينما الإنسان يظل دائمًا غير كامل ودائم الاعتماد على الله. وقد اظهر القديس ايريناؤس بوضوح ـ مواجهًا الفكر الغنوسي ـ أن الله لم يفقد أي شيء من قوته وصلاحه عند خلق الإنسان وأن الإنسان قد اكتسب كماله بشكل يتناسب مع كونه مخلوق بيدي الله. ويكتب القديس ايريناؤس:

"الله في آن واحد له قوته وحكمته وبره، فقوته وبره قد تجلّيا في أنه شخصيًّا يدعو ويُشكل أشياء جديدة لم تكن موجودة من قبل وأما حكمته فتظهر من خلال خلق الأشياء متجانسة ومتكاملة وهذه الاشياء تكتسب، من خلال سمو الخالق وحنانه، نموًّا وفترة طويلة في الوجود وبذلك تستطيع خلائق الله أن تعكس مجد الله الخالق الذي يمنح كل ما هو صالح بكل مسرة. ولذلك يظهر مجد الله الخالق في كل الاشياء. وأن [الله] هو بداية كل شيء

والعلّة الأولى في إيجاد الكل بينما تظل كل الاشياء تحت قدرة وسلطة الله الخالق وحده وخضوع الاشياء لله هو خضوع مستمر للخلود، والخلود هو أيضًا مجد الخالق. وبهذا الترتيب ظهر التجانس والتتابع في الطبيعة، والإنسان خُلق بتدبير على صورة ومثال الله الخالق، فالآب يُدبر كل شيء حسنًا ويُعطي وصاياه، والابن هو الذي يحمل كل الأشياء إلى الإتمام [الوجود] متممًا عمل الخلق، والروح [القدس] هو الذي يُغذي ويُنمي كل ما تم عمله، وأما الإنسان يتقدم يومًا فيومًا متجهًا نحو الكمال أي مقتربًا نحو [الله] الخالق "[٦]

وفي هذا النص [على وجه الخصوص] يَحجُم القديس ايريناؤس عن التمييز بين الصورة والشبه[٧] حيث إنه يتكلم عن الخليقة الأولى للإنسان قبل السقوط. فالإنسان كان مُخططًا له أن ينمو كل يوم بالانفتاح على أعمال الله الآب الذي أظهر مشيئته في تدبيره ووصاياه المُعطاة للإنسان، والانفتاح أيضًا على الله الابن الذي فيه يتحقق النموذج الأول الذي قصده الله الآب في خلق الإنسان مُحضرًا إياه إلى كماله، والانفتاح أيضًا على الروح القدس الذي يُغذّي ويُنمّي عطية الحياة الإلهية داخل الإنسان. ولكن ليفهم القارئ، فقد أوضح القديس ايريناؤس بصفة خاصة كثيرًا أن آدم قد خُلق على صورة يسوع المسيح [الإله المتجسد]. والكلمة الإلهي [اللوغوس] الذي صار إنسانًا كان النموذج الأصلي الذي على مثاله جبل الله الخالق الإنسان. فيسوع المسيح هو المثال الأصلي للإنسان، والذي من خلاله قُصد لآدم وكل الجنس البشري ان يكون على صورة كماله.

وفي كتاب الكرازة الرسولية للقديس ايريناؤس يوضح هذه النقطة، قائلاً:

---

6 Adv. Haer. IV, Ch. 38, pp. 521 – 522

7 For other places where he links image and likeness together as synonomous cf. Adv. Haer. III, Ch. 18, 1, pg. 446; Ch. 22,1, p. 454

"لأن الله صنع الإنسان على صورته (تك ٢: ٩، ٦)، وهذه الصورة هي صورة ابن الله الذي على صورته خُلق الإنسان" [٨]. فالصورة الكاملة لله هي الكلمة المتجسد (انظر كو١: ١٥) وصورة يسوع المسيح هذه وكذلك كل البشر الكاملين تحتوي على ثلاثة عناصر؛ الجسد والنفس والروح. "هناك ثلاثة عناصر كما هو واضح يتكون منهم كل إنسان؛ الجسد والنفس والروح" [٩]

فكل العناصر الثلاثة [الجسد والنفس والروح] - كما تأكّدت بتجسُّد المسيح - ضرورية للإنسان كما خلقه الله ورتب أن يكون كاملاً في آخر الأمر. ولكن على النقيض فالغنوسيون يقولون إن المادة هي المصدر الداخلي للشر، لذلك أصر القديس ايريناؤس بقوة على أن الجسد وأيضًا النفس هما مكونين للصورة الإنسانية، وأن يسوع المسيح قد أخذ جسدًا ليس فقط ليفتدي الجنس البشري بل أيضًا ليكون هو بكل دقة صورتنا الكاملة أو المثال الأصلي الذي لجميع البشر، متضمنًا في ذلك أولئك الذين ولِدوا قبل زمن التجسد. فالإنسان لم يُخلَق كصورة الله مباشرةً ولكن على صورة الله الكلمة الذي هو يسوع المسيح وهكذا فالمسيح أخذ لنفسه جسدًا بشريًا ونفسًا انسانية وكذلك عقلاً وإرادة بشرية مُظهرًا لنا صورتنا الحقيقية. [١٠]

فالجسد والنفس يكوِّنان الإطار العام للإنسان. وهذه هي صورته. ولكن علاوة على ذلك فهو في احتياج للروح لُيكمل كينونته، ليكون حسب المثال الكامل، يسوع المسيح، صورتنا، ويتم هذا الكمال بواسطة الروح.

وفي الفقرة التالية نرى القديس ايريناؤس يميز بوضوح بين الصورة والشبه، فالصورة تساوي الجسد والنفس، والشبه يساوي الروح [وهي المجال الذي يتقبل الإنسان من خلاله] عطية الحياة الإلهية (النعمة) التي تسكن في الإنسان بأكمله، أي الجسد والنفس. وقد استخدم المفسرون هذه النصوص وما يماثلها

[8] Proof of the Apostolic Preaching (hereafter listd as Demonst.) tr. By Smitin, J. P , S , J , in Ancient Christian Writers, Westminster, Md., 1952 , Vol. 16, Ch. 22, p. 61
[9] *Adv. Haer.* V, Ch. 9 , 1, p. 534
[10] Ibid, V, Ch. 6,1 , pp. 531- 532.

ليوضحوا كيف أن القديس ايريناؤس يميز بوضوح بين ما هو طبيعي وما هو فائق للطبيعة. وهذا التمييز ليس فاصلاً عند القديس ايريناؤس، الذي أوضح أن الروح [الإنسانيّة] هي مجال عمل الروح القدس في القدرات الكائنة في الصورة الإنسانية التي وضعها الخالق. فالإنسان كمجرد جسد ونفس يراه القديس ايريناؤس غير مُكتمل بالنسبة إلى كمال الإنسان. لذا فقد صرح القديس بأن الشبه يُمكن أن يُكتسب ويتم الحصول عليه وأيضًا يُمكن أن يُفقَد موضّحًا تدرج النمو حتى الوصول إلى نقطة الكمال. الروح مكون ضروري للإنسان التام والكامل لأنها كانت موجودة في المثال الأصلي الكامل لكل البشر، يسوع المسيح. وهذا نراه واضحًا خلال النص الآتي للقديس ايريناؤس:

"إن النفس والروح هما بكل تأكيد جزء من الإنسان ولكن أيضًا بكل تأكيد ليس هما كل الإنسان، لأن الإنسان الكامل يتكون من اتحاد النفس التي تتقبل روح الآب والطبيعة الجسدية التي قد تشكلت على صورة الله. ولكن عندما تمتزج الروح بالنفس بعمل يدي الله، فإن الإنسان يُصبح روحي وكامل بسبب تدفق الروح القدس فيه، وهذا ما يجعله على صورة الله وشبهه. ولكن لو أرادت الروح [الإنسانيّة] أن تميل ناحية النفس [انظر ١كو ١٥ : ٤٤، ٤٦] فإن مثل هذا هو بالتأكيد من الطبيعة الحيوانية، ولكونه باقٍ في الإطار الجسداني، يظل كائنًا ناقصًا حاملاً صورة الله في تكوينه ولكنه لم يتقبل الشبه من خلال الروح وبذلك يكون الإنسان غير كامل...

ليست النفس في حد ذاتها، بوصفها جزءًا، هي الإنسان ولكنها نفس الإنسان وجزء مكوِّن للإنسان. وليست الروح هي الإنسان إذ ندعوها الروح وليس الإنسان، ولكن كل هذه العناصر مجتمعة تُدعى معًا الإنسان... ولهذا السبب فالقديس بولس يُعلن أن أولئك هم «*الكاملون*» الذين يُظهِرون أمام الله الثلاث مكونات [الإنسانيّة؛ الجسد والنفس والروح] بلا إثم [انظر ١ تس٥: ٢٣] وهؤلاء هم الكاملون الذين لهم روح الله ماكثًا فيهم حافظًا أنفسهم

وأجسادهم بلا لوم، ثابتين على الإيمان المتجه نحو الله، ونقاوة السلوك من نحو الأقرباء" [١١]

الفـردوس المفقـود

ولُد آدم كصورة، حسب الصورة؛ يسوع المسيح، صائرًا إنسانًا له جسد مادي ونفس ذات معرفة وإرادة حرة تمكنه أن يعرف الله ويعرف مشيئته ويحبه ولكن فقط إن أطاع الله. والشبه الذي حصل عليه الإنسان كان [من خلال عطية] الحياة الإلهية، لكن في إطار [أشبه بـ] جنين، قابلاً للزيادة والنمو كالإنسان الأول، بمشاركة يدي الله؛ أي الكلمة والروح القدس، مُتممًا مشيئة الخالق. لقد كان آدم طفلاً أولاً بغض النظر عن عطية الحياة الإلهية التي كانت بداخله وكان مُدبرًا له أن يصل إلى إدراك أعظم وإلى حالة أعمق من البلوغ الروحي عندما يتوافق مع الطاقات الإلهية العاملة في شخصه، وليس في نفسه أو في جسده كأجزاء منفصلة متمايزة، ولكن في كل المكونات الضرورية التي تكّون الشخص الإنساني الكامل.

إن الروح القدس هو الذي يُعطي للإنسان هبة أن يكون شبه الطفل الروحي [الابن الروحي] وهذا يجعله، كطفل، على شبه ابن الله الحقيقي الكلمة. الذي هو ليس فقط النموذج والمثال لصورة الإنسان ولكن أيضًا لشبهه.[١٢] لذلك أرسل يسوع المسيح روحه القدوس ليجعل الإنسان ابنا لله ولكن هذه البنوة يصير لها معنى بالرجوع إلى الهدف، الإنسان الكامل ، ليصير ابنًا لله من خلال الشركة مع الله (٢بط٢: ٤)...

"ولأن الله دائمًا هو هو، كذلك الإنسان، عندما وجد في الله، كان يسير دائمًا نحو الله. وذلك أن الله لم يكف عن ان يمنح الإنسان عطاياه ليُغنيه وكذلك الإنسان لا يكف عن تقبُّل عطايا الله ليغتني بالله، ولأن الإنسان هو

[11] Adv. Haer. V, Ch. 6,1 , pp. 531- 532.
[12] Cf: Adv. Haer. V, Ch. 9,1-3, pp. 534-535

وعاء يحمل عطايا الله وصلاحه وكذلك أداة لتمجيده لذا فهو يشكر الله على خلقته إياه" [١٣]

لكن عندما اخطأ آدم فقد الروح وبذلك فقد الشبه لله. ولوصف الحياة الإلهية استخدم القديس ايريناؤس مرات كثيرة مصطلح *aptharsia* أي (عدم الفساد) وذلك لله وحده أو لأحد يحيا القداسة في الله ليكون أيضًا عديم الفساد ويشترك في كمال الكينونة.

"من خلال استمرارهم في الكينونة عبر الدهور، سوف يحصل البشر على قدرة من غير المخلوق [الخالق]، من خلال نعمة الوجود الأبدي المجانيّة التي انسكبت عليهم من قبل الله... ولكونهم باستمرار في حالة خضوع لله يعني هذا استمرار الخلود، والخلود هو مجد غير المخلوق [الخالق] وبهذا الترتيب وهذا التوافق للطبيعة، فإن الإنسان، الكائن المخلوق والكيان المنتظم، أصبح يحمل الصورة والشبه اللتين لله الخالق" [١٤]

فالله هو وحده غير الفساد وغير المخلوق، ولكن الإنسان من خلال عطية الحياة الإلهية حصل على التبني لكي ينمو نحو النضوج لبلوغ ما هو أبدي، من خلال شركة الحياة الأبدية التي يصفها ايريناؤس جيدًا بأنها تُنسب إلى الله غير الفاسد وغير المخلوق. لكن آدم فقد هبة الحياة [بالسقوط]، وبالرغم من امتلاكه الحياة البشريّة الطبيعيّة، إلا أنه أصبح فاسدًا ومائتًا، بعيدًا عن الحياة الإلهية التي كانت في داخله. وعلى ذلك فقد زالت صفة الشبه لله من الإنسان بالرغم من استمرار صفة الصورة، حيث إن الصورة تساوي الجسد والنفس [عند القديس ايريناؤس] والتي كانت تحمل فيها البذرة لإعادة ولادة الإنسان ولاستعادة صفة الشبه من جديد.

وبذلك فإن الشيطان ـ ملك الموت ـ قد وضع الإنسان تحت سيطرته، وفشل آدم في أن يرجع إلى نفسه وأن يستمع لله الكلمة الذي يُخبره عن الآب

[13] Adv. Haer. IV, Ch. 11,2, p.474
[14] Ibid., IV, Ch. 38 ,3 , p. 521

السماوي. كما فشل آدم في التوافق مع عمل الروح القدس الذي يُغذِّي الشبه الإلهي [التبني] الموجود في الإنسان ليصل إلى الكمال. وفي إحدى الفقرات الرائعة يوضِّح القديس ايريناؤس أن سقوط الإنسان ليس بسبب أن الله أحبه بدرجة أقل ولكن لأن الإنسان بذاته صار مذنبًا. وهنا يتساءل القديس ايريناؤس قائلاً:

"...كيف إذًا يكون كامل وهو الذي خُلق مُؤخرًا؟ وكيف له أن يكون خالدًا وهو في طبيعتة المائتة لم يطع الله الخالق؟... ولذلك فإن لم تؤمن أنت به وأردت الهرب من بين يديه، سوف يكون عدم الكمال راجعًا لك وحدك لأنك لم تطع، وليس في الله الذي دعاك... لذلك فإن خطّة الله لم تكن عاجزة فهو قادر أن يقيم من الحجارة أولادًا لإبراهيم، ولكن الإنسان الذي لم يتقبل خطة الله هو السبب في عدم كماله. النور ليس هو سبب عدم الرؤية لو كان هناك أناس عميان، فالنور يبقى كما هو ولكن هؤلاء العميان هم الذين شملهم الظلام بسبب سقوطهم. فالنور لا يستعبد أحدًا بالضرورة وأيضًا الله لا يرغم أي شخص لعمل مشيئته أو قبول عمل خطته، فهولاء الأشخاص هم الذين ارتدُّوا بعيدًا عن النور المُعطى لهم من الآب وخالفوا قانون الحرية، فإن ذلك هو خطأهم هم، لأنهم قد خُلقوا كوكلاء أحرار، ولديهم القوة والسلطة على أنفسهم" [15]

ويوضح القديس ايريناؤس أن الحياة الحقيقية في أن يكون الإنسان متحدًا مع الله، وأن الموت هو الانفصال عن الله. إنه كمثل من ترك النور إلى الظلمة ومن تخلّى عن النظام لأجل الفوضى. إن أمل الإنسان الوحيد هو في آخر أعظم من الإنسان وله القدرة على هزيمة الشيطان ولكن من الذي يرد للإنسان حياته المفقودة والشبه لله.

يُتْبَع

[15] Ibid, IV, Ch. 39 ,2-3 , pp. 522 - 523